Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا - خبرة المتلقى وذوقه الجمالى :

ربما خضعت فلسفة التلقى عند العرب، وقبلهم اليونان لقاعدة بلاغية معروفة، وهى «مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

وبوحى من هذه القاعدة توطدت علاقة النص بخبرة المتلقى وذوقه الجمالى. وبوحى منها كذلك بنى أرسطو نظريته فى العلاقات المسرحية، حيث جعل النص المسرحى ملتزما بفكر الجمهور وثقافته مثيرا لدواعى الخوف والرحمة لدى المتلقى، وهذا لا يتم - فى تقديره - إلا بتراسل المشاعر بين النص الممثل وجمهوره. ومن ثم كان الجمهور مناط الحكم على النص، وكاتبه، وربما أبيح له أن يناقش الممثل على خشبة المسرح فى بعض المسرحيات اليونانية(١).

والنقد العربى بكل مصادره المعرفية، ووسائله المتعددة فى التعامل مع ضروب الكلام كان أكثر التزاما بطبيعة ونوعية العلاقة بين النص وأحوال المتلقى، فلا يلقى إليه الخبر مؤكدا إن كان خالى الذهن، ولا خاليا من التأكيد إن كان منكرا لما يسمع. وعلى قدر موقفه الإنكارى تكون درجة التأكيد وقوته بالوسائل المستخدمة فى الأسلوب العربى، وربما اهتم الفكر البلاغى عند العرب بمنازل المخاطبين وأقدارهم الاجتماعية فى النص الخطابى، فالخطيب « لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون فى قواه فضل التصرف فى كل طبقة . . . ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم»(٢).

وربما اهتموا كذلك بالأحوال النفسية للمتلقى، وما يكون لها من وطأة فعالة فى إصدار الأحكام على النص. وهذا واضح فيما يحكيه الجاحظ عن «سهل بن هارون» إذ يقول : «إذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا، فإنك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين : إما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل، والإكبار والتبجيل، على قدر حالهما فى نفسه، وموقعهما من قلبه، وإما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما، والخوف من أن يكون تعظيمه لهما يوهمه من

---

(١) انظر : فلسفة التلقى عند أرسطو فى موضعها من البحث.

(٢) البيان والتبيين ١ - ٩٢، ٩٣ تحقيق - هارون - الخانجى.